

من وصف الكارثة المروعة إلى استصراخ الناس كى يردوا سيل الزنج الكاسح عن البصرة ومدن العراق ، ويرفع لهم شعارات الجهاد الدينى ، ويستحثهم بما يكون بينهم وبين الله من حوار إزاء تلك الفاجعة إن هم قعدوا عنها ، ويناديهم بلسان الرسول ﷺ أن يردوا عدوان الزنج الأثيم ، ويستنفرهم فى حماسة بالغة لرد هذا العار وللثأر والانتقام ، ويختتم ابن الرومى المرثية ببيان فضل المجاهدين وما أعد لهم من الجنان والرضوان العظيم ، وهى بذلك تُعدُّ مرثية من جهة واستصراخاً واستنفاراً لحرب الزنج من جهة ثانية ، وهو استنفار يكتظ بالغیظ والحنق الشديد .

العتاب :

ولابن الرومى فى العتاب كثير من المعانى البارعة ، من مثل قوله فى آل

وهب :

تخذتكم دِرْعاً وتُرْساً لتدفعوا      نِیَالَ الْعِدَا عَنِّي فَكُتُمُ نِصَالَهَا  
وقد كنت أرجو منكم خيرَ ناصرٍ      على حين خِذلان اليمين شِمَالَهَا  
فإن أنتم لم تحفظوا المودَّة      ذِمَاماً فكونوا لا عليها ولا لها (١٠٥)

وعفاء على هؤلاء الأصدقاء ، فقد كان يتخذهم دروعاً وتروساً ، فإذا هم عون للأعداء ، وإذا هم يخذلونه خذلاناً مروعاً ، خذلان اليمين للشمال ، وإنه ليتوسل إليهم إن لم يحفظوا ذمام مودته وحرمته أن يكفوه شرمهم كما كفوه خيرهم ، فيكونوا لا عليه ولا له .

ويكثر العتاب فى ديوان ابن الرومى ، وقصيدته فى عتاب أبى القاسم التوزى الشطرنجى مشهورة ، وقد عرضه عرضاً طويلاً طريفاً ، إذ أخذ يذكره بما كان بينهما من صفاء ، ثم نشأت بعد ذلك هنوات لا يرضاها الصديق ، يقول :

كشفت منك حاجتى هنواتٍ      غُطِّيتَ بِرَهَةٍ بِحَسَنِ الْلِقَاءِ  
تركنتى ولم أكن سيىء الظُّ      من أسىء الظنون بالأصدقاء  
قلت لما بدت لعينى شنعاً      رَبُّ شَوْهَاءٍ فِي حَشَا حَسَنَاءِ (١٠٦)

(١٠٥) المصدر نفسه ٥ : ١٩١١ .

(١٠٦) المصدر نفسه ١ : ٦٤ .